أسباب رفع البلاء

١٤٤٥/٠٤/٠٥هـ

﴿الخُطْبَةُ الأُوْلَى﴾

الحَمدُ للهِ الذي خَلَقَ الموتَ والحَياةَ لِيَبْلُوَ عِبَادَهُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى خَيْرِ خَلْقِ اللهِ وَأَشَدِّهِمْ تَعَرُّضاً لِلابْتِلاءِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ نُجُومِ الدُّجَى، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإحْسَانٍ إلى يَومِ الجَزَاءِ. **أَمَّا بَعْدُ:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٠-٧١].

اعْلَمُوا – يَا عِبَادَ اللهِ– أنَّ البَلاءَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي خَلْقِهِ، يُرْسِلُهُ عَلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيكُونُ

عِنْدَ أقوامٍ سَبَباً لِرِضَا اللهِ، كَمَا يَكُونُ عِنْدَ آخَرِيْنَ سَبَباً لِسَخَطِهِ وَعُقُوْبَتِهِ، وَفِي هَذا يَقُولُ نَبِيُّنَا عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

"إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم، فمَن رَضي فله الرِّضَا، ومَن سخِط فله السَّخطُ" رواه الترمذي وحسنه الألباني.

والبَلاءُ أنواعٌ شَتَّى، فَقَدْ يُبْتَلَى الإنسانُ بِفَقْدِ وَالدِهِ أوْ وَلَدِهِ أوْ مَالِهِ، وَرُبَّما لا يُوَفَّقُ في زَوَاجٍ أوْ تِجَارَةٍ أوْ وَظِيفَةٍ أوْ دِرَاسَةٍ، وَرُبَّما يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ ظَالِمٌ، وَرُبَّما يَعِيْشُ أيَّاماً أوْ شُهُوْراً أوْ عُقُوْداً مِنْ حَيَاتِهِ وَهُوَ في مَرَضٍ أوْ يَرْعَى مَرِيْضَاً مِنْ أَقَارِبِهِ، إلى غَيْرِ ذَلكَ مِنْ أنْوَاعِ البَلاءِ المتَعَدِّدَةِ التي تُصِيْبُ النَّاسَ.

وَمعَ أنَّ هَذِهِ الابْتِلاءَاتِ مُؤْلِمَةٌ؛ فَإِنَّ لَهَا فَائِدَةً، فَمِمَّا تَقَرَّرَ فِي شَرِيْعَتِنَا أنَّ الجَنَّةَ دَرَجَاتٌ، وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُ أَهْلِ الإيمانِ فِيها بِحَسبِ أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللهُ للمُؤمِنِ دَرَجَةً في الجَنَّةِ لا يَبْلُغُهَا بِعَمَلِهِ، لِذَلِكَ يُقَدِّرُ اللهُ عَلَيْهِ مِن البَلاءِ في الدُّنيَا مَا يُبَلِّغُهُ تِلْكَ الدَّرَجَةَ.

-فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ :"يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلاءِ الثَّوَابَ، لَوْ أَنَّ جُلُوْدَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنيا بِالمَقَارِيْضِ" أخرجه الترمذي وصححه الألباني.

أيُّهَا المؤمِنُونَ:

إذَا عَلِمْنَا أنَّ البَلاءَ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي عِبَادِهِ، فَإنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ -جَلَّ وَعَلَا- أنْ شَرَعَ لَنَا أَسْبَاباً لِرَفْعِ البَلاءِ.

والأصْلُ؛ أنَّ المؤمِنَ يَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، فَلا يَطْلُبُ البَلَاءَ وَلَا يَدْعُوْ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا عَلَى غَيْرِهِ بِهِ، وَمِصْدَاقُ ذَلكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "لا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ وَسَلُوْا اللهَ العَافِيَةَ، فَإذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا" رواه مسلم.

وكانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أصْحَابَهُ أنْ يَسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، بِهَذَا الدُّعَاءِ: "اللّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِيْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ" رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في سننه، وهو حديث حسن.

عِبَادَ اللهِ: إنَّ مِنْ أهَمِّ وَأَعْظَمِ أسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ الإيمانَ بِاللهِ، فَاللهُ تَعَالَى يَقولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج ٣٨] قَالَ ابنُ سِعْدِي – رَحِمَهُ اللهُ– في تَفْسِيْرِهِ: "هَذا إِخْبَارٌ وَوَعْدٌ وَبِشَارَةٌ مِن اللهِ للذينَ آمَنُوا، أنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنْهُم كُلَّ مَكْرُوْهٍ، وَيَرْفَعُ عَنْهم كُلَّ شَرٍّ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ".

وَمِنْ أسْبَابِ رِفْعِ البَلاءِ: التَّوَكُّلُ عَلى اللهِ وَالاعتمادُ عَليهِ، مَعَ فِعْلِ الأسْبَابِ المشْرُوْعَةِ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلى اللهِ كَفَاهُ مَا أهَمَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق ٣].

وَمِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ تَحْقِيْقُ العُبُوْدِيَّةِ للهِ: وَمِنْ ذَلكَ أنْ يَتَعَبَّدَ المسْلِمُ للهِ بِطُرُقٍ عَدِيْدَةٍ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ التي يُحِبُّها اللهُ، فَرُبَّمَا لا يَفْتَحُ اللهُ على العَبْدِ فِي صِيَامِ النَّوَافِلِ، وَلَكِنْ يَفْتَحُ عَلَيْهِ في قِيَامِ اللَّيلِ أو الصَّدَقَةِ، أوِ في صِلَةِ الرَّحِمِ وَبِرِّ الوالدينِ، أوْ غَيْرِ ذلكَ مِن أبوابِ الطَّاعَةِ والبِرِّ.

وَمِن أعْظَمِ أسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ؛ اللُّجُوءُ إلى اللهِ ودُعَاؤُهُ كَما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيْبُ المضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوْءَ﴾ [النمل ٦٢].

وَمِنْ أَسْبَابِ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ البَلَاءِ أنْ يَكُوْنَ العَبْدُ مُعْتَادَاً لِلدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ قَبْلَ أنْ يَحِلَّ بِهِ البَلاءُ، فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

: "مَنْ سَرَّهُ أنْ يَسْتَجِيْبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكُرَبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ" رواه الترمذي وصححه الألباني.

وَمِنْ أَجَلِّ أَسْبَابِ رَفْعِ البَلَاءِ التَّذَلُّلُ للهِ وَتَعْظِيْمُهُ ؛ بِتَسْبِيْحِهِ وِتَهْلِيْلِهِ وَإِدَامَةِ ذِكْرِهِ، وَتَحْقِيْقِ تَوْحِيدِهِ، كَمَا فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ يُوْنُسَ بْنِ مَتَّى حِيْنَمَا التَقَمَهُ الحُوْتُ.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"أَمَّا دَعْوَةُ ذِيْ النُّونِ فَإِنَّ فِيها مِنْ كَمَالِ التَّوحِيدِ وَالتَّنْزِيهِ للرَّبِّ، وَاعْتِرافِ العَبْدِ بِظُلْمِهِ وَذَنبِهِ مَا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ أَدْوِيَةِ الكَرْبِ وَالهَمِّ وَالغَمِّ، وَأَبْلَغِ الوَسَائِلِ إلى اللهِ في قَضَاءِ الحَوَائِجِ".

حَيْثُ لَجَأَ يُونُسُ إلَى اللهِ مُنْكَسِراً خَاضِعاً، فَقَالَ:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧].

وَلِهَذَا جَاءَتْ الإِجَابةُ مِن القَرِيبِ المجِيبِ سبحانه فَقَالَ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات ١٤٤-١٤٥].

عِبَادَ اللهِ: وَمِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى عَدَمِ نُزُوْلِ البَلَاءِ أَصْلاً؛ دَوَامُ الشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ، فَإِنَّ كُفْرَ النِّعْمَةِ وَعَدَمَ شُكْرِ المُنْعِمِ سَبَبٌ فِي زَوَالِهَا، وَحُلُولِ البَلاءِ بَدَلاً مِنْهَا.

وَأَقْدَارُ اللهِ فِي البَلَاءِ وَالفَرَجِ لَهَا مَفَاتِيْحُ وَأَسْبَابٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

تَجْرِيْ المقَادِيرُ إِنْ عُسْرًا وَإِنْ يُسْرًا

وَلِلْمَقَادِيْرِ أَسْبَابٌ وَأَبْوَابُ

مَا اشْتَدَّ عُسْرٌ وَلَا انْسَدَّتْ مَذَاهِبُهُ

إِلَّا تَفَتَّحَ مِنْ مَيْسُوْرِهِ بَابُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِيْنَ لِنِعَمِكَ مُثْنِينَ بِهَا عَلَيكَ، وَارْفَعْ عَنَّا كُلَّ بَلاءٍ وَاصْرِفْ عَنَّا كُلَّ سُوْءٍ،

أَقُولُ قَولِيْ هَذا.. واستَغْفِرُ اللهَ العَظيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فاستغفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

﴿الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ﴾

الْحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على رَسُولِهِ الدَّاعِي إِلَى رِضْوانِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

أَمَّا بَعدُ عِبادَ اللهِ:

فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوْهُ ولا تَعْصُوهُ، وَاعْلَمُوا – رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ – أَنَّ مِنْ أَسْرَعِ أَسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ: الصَّدَقَةَ، قَالَ ﷺ : "صَنائِعُ المعروفِ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ، وصَدَقةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ، وصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في العُمُرِ" رواه الطبراني وصححه الألباني.

وَمِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ: حِفْظُ حُدُوْدِ اللهِ، وَمُرَاعَاةُ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيْهِ وَالتَّعَرُّفُ إلى اللهِ فِي الرَّخَاءِ، قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: "احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ.." رواه الترمذي وغيره، وهو حديث صحيح.

وَمِنْ أَسْبَابِ رَفْعِ البَلاءِ: الرُّجُوعُ إلى اللهِ تَعالى وَالإِنَابَةُ إليهِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر ٥٤] فَاللهُ يَبْتَلِي العِبَادَ لِيَعُوْدُوا إليهِ كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم ٤١].

ثم اعْلَمُوا أيُّهَا المؤمنونَ أنَّ اللهَ أمَرَكُمْ بِأَمْرٍ بَدَأَ فِيهِ بِنَفْسِهِ، وَثَنَّى فِيهِ بِمَلائِكَتِهِ، وَثَلَّثَ بِكُم مَعَاشِرَ المؤمنينَ، فَقَالَ -جَلَّ قَائِلاً كَرِيماً-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]،

اللَّهُمَّ صَلِّ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيْماً. اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ والمشركينَ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المهمومينَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المكروبينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَن المدينينَ، وَارْحَمْ مَوتَانَا وَمَوتَى المسلمينَ.

اللَّهُمَّ احقِن دِمَاء المسلمين اللَّهُمَّ كُفَ بأسَ الذِينَ ظَلَمُوا عَنِ المسلمين اللَّهُمَّ احِفَظ المسلمين في فلسطين، اللَّهُمَّ احِفَظهُم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ونعوذ برحمتك أن يغتالوا من تحتهم

اللَّهُمَّ إِنَّنَا نَسْأَلُكَ أنْ تَجْعَلَ هَذا البَلَدَ آمِناً مُطْمَئِنّاً رَخَاءً سَخَاءً وَسَائِرَ بِلادِ المسْلِمينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أمْرِنَا خَادِمَ الحَرَمَينِ الشَّريفينِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ للبِرِّ وَالتَّقوَى، اللَّهُمَّ أَعِنْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَأَعْوَانَهُ وَوُزَرَاءَهُ عَلَى أمُوْرِ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا، وَيَسِّرْ لَهَم الخَيْرَ في الآخِرةِ والأُوْلَى.

اللَّهُمَّ اخْتِمْ بالصَّالِحَاتِ أعْمَالَنَا، وَاخْتِمْ بالحَسَنَاتِ آجَالَنَا، وَاجْعَلْ خَيرَ أيَّامِنَا يومَ نَلقَاكَ.

عِبادَ اللهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَاذْكُرُوا اللهَ العَظيمَ الجَليلَ يَذْكُرْكُم، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُم وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ